أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

الربع السادس عشر

المقطع الرابع من المحور الثاني: قصص الإحياء والإماته الحسية والمعنوية والعبرة منها (243-260)

تتضمن الربع الثامن من الجزء الثاني والربع الأول من الجزء الثالث

علاقة هذا المقطع بما قبله

بعد أن استفاضت الآيات في الحديث عن المجتمع الصغير، انتقلت الى الحديث عن المجتمع الكبير، وإصلاح الدنيا بالترغيب في الجهاد بالنفس والمال، وجاء المقطع قصصي في مجمله.

المناسبة بين هذا المقطع ومحور السورة

هذا المقطع بكل قصصه يقرر قضية مهمة وهي قضية الحياة وقيمتها وقضية البعث والنشور وإذا علمت بذلك النفوس أيقنت أن الأمر كله بيد الله وتبذل الغالي والنفيس في سبيل الله وهذا له اثر بمحور السورة وهو مقومات الخلافة فالظالم والمتكبر والذي يحارب عباد الله ولايطيع ربه القادر لايستحق أن يكون خليفة في الأرض.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)}

التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

علاقة هذه الاية بما قبلها

بعد ذكر أحكام الأسرة أتى الكلام بأسلوب قصصي وهذا كثير جدا في القرءان ليفيد الإعتبار للقاريء والسامع فلايتمرد أو يتكبر بل يخضع لأوامر الله وينفذ

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ} ابتدأت هذه الآية بالاستفهام التقريري للتعجب، الذي في ظاهره أنه خطاب موجه للنبي

ﷺ، أي ألم تر يامحمد المثل الإنساني الذي نضربه لك، وهذا الخطاب صالح للأمة، والرؤية هنا المقصود بها العلمية، يعني: ألم تعلم قصة وخبر الذين فروا من أرضهم ومنازلهم وديارهم، وهم ألوف كثيرة، حذر الموت، والله أعلم ما الذي كان، والمرويات في هذا الباب مرجعها إلى أخبار بني إسرائيل، بعضهم يقول: فروا من الطاعون، وبعضهم يقول: فروا من القتال في الحرب، وبعضهم يقول: فروا من بلادهم التي استوخموها، فخرجوا إلى وادٍ أفيح، فنزلوا فيه، وملئوا ما بين عدوتي الوادي، وهذه الروايات لا يُعتمد على شيء منها ويقال: إن الله أرسل إليهم ملكين، فكان أحدهما في أسفل الوادي، والآخر في أعلاه، فصاحا بهم فماتوا، ثم إن الله -تبارك وتعالى- بعد ذلك أحياهم، والشاهد أنهم خرجوا حذر الموت، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر، فقال لهم الله موتوا، فماتوا جميعًا، فروا من قدر الله فأدركهم الموت، ثم أحياهم الله -تعالى- بعد مدة؛ ليستوفوا الآجال، ويتعظوا ويعتبروا؛ رحمة بهم ولطفا وحلما، وبيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى، وهذا أيضًا آية في أن قَدَر الله -تبارك وتعالى- لا بد أن يُدرك العبد لا محالة.

ثم ختم الآية بأنه سبحانه له فضل كبير على عباده فقال: { إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} وذلك بنِعمه عليهم المتواترة، وبهذا البيان الذي بينه، والآيات الواضحات، والدلائل الباهرات، الدالة على قدرته، وأنه يُحيي الموتى، فيُريهم من الآيات ما يحصل به العلم واليقين؛ وذلك من فضله ورحمته بعباده، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم.

هداية .... وتدبر

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ	هذه الألوف أعداد كثيرة مما يدل على وجود الخوف والهلع في نفوس أكثر الخلق، وهذا أمر واقع ومُشاهد، ولكن الكثيرين لا يتبينونه إلا إذا وقع لهم المكروه، يعني: في أيام العافية قد يشعر الإنسان أنه قوي وثابت، ورابط الجأش، ولكن إذا وقع له المكروه، حصل منه الهلع

	والجزع والضعف ما لا يُقادر قدره
	لا تحاول الفرار من قدر الله، القدر حين يُكتب ، يلاحقك حتى بعد هروبك منه فلا يُنجي من قدر الله لا تآلف، ولا حذر، وليس معنى ذلك أن يتفرق الناس، أو أن يترك الإنسان الأسباب، لكن لابد له أن يعمل بالأسباب، ولا يركن إليها، ولا يترك أمر الله خوفًا من الناس، فرزقه وأجله كله بيد الله -تبارك وتعالى. بعض الناس قد يحلق لحيته خوفًا من مديره في العمل، وبعضهم قد يترك صلاة الجماعة وينشغل بالعمل ليرضي مديره أو رئيسه، وجهل أن الرزق بيد الله، وأن قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن، وأن من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس.
فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ	الخوف والهلع والجزع بل والحذر لا يُنجي من القدر، فالخوف لا يحفظ الحياة، والاحتياط لا يكون سابقًا لقدر الله -تبارك وتعالى، ولكن على العبد أن يبذل الأسباب اعقلها وتوكل، ويتجنب الأخطار، ويتطلب الأسباب في مُدافعة قدر الله -تبارك وتعالى، فيما يُمكن مُدافعته، كالجوع والعطش يُدفعان بالأكل والشرب، والعِلل والأمراض يطلب لها الدواء، كما قال النبي: "تداووا عباد الله ولاتداووا بحرام"، وهكذا الدعاء، ونحو ذلك، وأما الحياة فهي بيد الله -تبارك وتعالى، لا تحصل بجُهد العباد، وخالد بن الوليد عند موته قال مقالته المشهورة: "لقد لقيت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف، أو رمية بسهم، أو طعنة برمح؛ فها أنا أموت على فراشي، حتف أنفي، كما يموت العير؛ فلا نامت أعين الجبناء. وذُكر أن أعرابيًا رأى جنازة فسأل؟ فقيل له: هذا ميت، قال: وكيف الخلاص؟ فقيل له: إن القرى يكثر فيها الوباء - القرى يعني المدن ومجمع الناس، كبيرة أو صغيرة- ولكن عليك بالبادية، فاخرج إلى البادية، فخرج إلى البادية خوفًا من الموت، فمر بقبر أو قبرين، فقال وقد نبأتُماني أنما الموت في القرى ... فكيف وهذه هضبة وكثيب؟!.

	يقول: أنا لست في قرية، هذه هضبة، وهذا كثيب، ويوجد الموت، فهذه القبور في الصحراء، فقدر الله إذا نزل فإنه لا يرده حذر من أصحاب الحذر، ولا قوة ذي جلد، ولا عقل ذي عقل، ولا مهارة ذي حذق، وإنما على العبد أن يرضى ويُسلم، فيصبر، ويحتسب، والكل سيمضي في الوقت الذي حدد الله فيه موته، لا يتقدم ولا يتأخر، فلا العلل والأمراض هي التي تُقدم الآجال، ولا العافية والقوة هي التي تؤخرها، النتيجة واحدة، لو أن هذا الإنسان ذهب إلى أرقى المستشفيات، وأجروا له جميع الفحوصات والتحاليل، وقالوا: أنت أصح الناس لم يتغير من أجله شيء، هو يفرح ذلك، ولكن الأجل هو الأجل، ولو قالوا: قد اجتمع بك أدواء وأمراض الناس لم يتغير من أجله شيء، هو نفس الأجل، فلا فِرار من قدر الله -تبارك وتعالى.
	فَقَالَ {لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} فيه إثبات صفة الكلام لله على ما يليق بجلاله، وعظمته. والله يكلم أهل الجنة، ويناديهم، ويسمعون صوته ويرونه، وهذا أعظم نعيم لهم.
	الموت آتٍ لامحالة. {قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ} [سورة الجمعة:8] فلم يقل: فإنه يتبعكم، وإنما ملاقيكم وجهًا لوجه، تفر من الموت ويُقابلك، فلا يُقربه الشجاعة والامتثال لأمر الله ولا يُبعده الخوف والجبن والحذر، وما إلى ذلك، الأجل هو الأجل، تجد الرجل ربما يعمل احتياطات كثيرة جدًا إلى حد الوسوسة في طريقه، ومعاشه وشؤونه كلها، ومع ذلك قد يأتيه أجله من مأمنه، وقد يأتيه خوفه من الجهة التي أمنها.
	فيه اختصار وإيجاز، وهذا من بلاغة القرآن {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا} فماتوا، فما ذكره، فالقرآن يحصل به طي الكلام الذي يفهمه المخاطب ثقة بفهمه، ولا يحتاج أن يُذكر .

	هذا الموضع أحد المواضع في سورة البقرة الدالة على قدرة الله على البعث، وهي خمسة مواضع، هذا واحد منها، وهذه الخمسة داخلة في نوع من الأنواع الدالة على قدرة الله على البعث، فهذا النوع هو الإحياء بعد الإماتة، إحياء أُناس مثل هؤلاء وهم ألوف، أو الذي مر على قرية، وهو واحد، أو الطيور التي كان إبراهيم جزأها بأمر الله وقطعها، ثم دعاها إلى غير ذلك، فهذا كله يدل على قدرته الباهرة على إحياء الموتى.
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ	التنكير هنا يدل على التعظيم، أي: فضل عظيم، فينبغي أن يُذكر فضله، وأن يُعرف، وأن يُشكر على ذلك، باللسان والقلب والجوارح، والعمل بطاعته سبحانه.
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ	لم يقل: ولكن أكثرهم، فأعاد لفظ الناس مُظهرًا، مع أنه يصح فيه الإضمار للدلالة على العموم، يعم كل الازمان وكل الاماكن وكل الاحوال فإن أكثر الناس لا يشكرون الله -تبارك وتعالى، والشكر هو ظهور أثر النِعمة على المُنعم عليه بلسانه، وقلبه، وجوارحه، يُقال: شكرت الدابة إذا ظهر عليها أثر العلف، من السِمن، ويُقال: الشكير وهو الغُصن الصغير الأخضر الذي يخرج من الشجرة إذا قُطعت، زائد عليها.
	وهذا تعليل لما سبق من نعمة الاحياء، فعبادة مطالعة النعم من أهم العبادات لأنها تستوجب شكر النعم، وكما قال تعالى: "ولئن شكرتم لأزيدنكم" هذا بخلاف الجحود الممحق للنعائم.
	تحفيز النفوس على الثبات والقيام بأمر الله أن يعتمد الناس على الله وحده، والإيمان بأن الله -تبارك وتعالى- يفعل ما يشاء، ويحكم ما يُريد، فلا فرار أو نجاة من قدر الله، فلاتقول أنا أعتمد على ذكائي وقدراتي في عملي أو دراساتي، أو لولا احتياطاتي وتوقعاتي لما ربحت، كل هذا خطأ.

الأمر بالقتال في سبيل الله

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)

"التفسير الموضوعي، وترابط الآيات"

علاقة هذه الاية بما قبلها

ذكر الله قصة موجزة بين يدي الأمر بالقتال، لتبين للناس أن الله هو المحيي المميت فلا داعي للخوف من الجهاد.

وبعد أن حفزت النفوس على الثبات والقيام بأمر الله أمرهم الله بالقتال، فإن من سبقهم فروا من الموت فآتاهم الموت، فأمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } أي: فأحسنوا نياتكم واقصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك.

هداية .... وتدبر

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	القتال لابد أن يكون في سبيل الله، لا حمية ولاشجاعة ولافي طاعة الشيطان، حتى لو مات يموت شهيد في سبيل الله، ومنزلة الشهداء منزله عظيمة عند الله فهم أحياءٌ عند ربهم لا يدركهم الفناء ولا العدم يتمتعون

	بنعيم الجنة على الدوام خالدين فيها، قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ ﴾.
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	عندما يختم الله الآيات بالسمع والعلم فهذا فيه تهديد مبطن، واستشعار مراقبته تعالى في السر والعلن، وتربية المؤمن على الإحسان وأن يعبد الله كأنه يراه.

الإنفاق في سبيل الله.

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) }

"التفسير الموضوعي، وترابط الآيات"

علاقة هذه الاية بما قبلها

فكما أن القتال بالنفس لا يُدني الأجل، فالآجال مكتوبة، فكذلك إنفاق المال في طاعة الله لا يُذهبه، ولا يُنقصه بل إن الله -تبارك وتعالى- يُخلفه، ويكون ذلك سببًا لنمائه وزيادته وبركته، ما نقص مال عبد من صدقة، فهذا أمر مُقرر لا شك فيه

لما أمر الله -تبارك وتعالى- في هذه السورة الكريمة بالقتال في سبيله بالسيف، بقوله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أمر بعده بالنوع الآخر من الجهاد، وهو الجهاد بالمال، والإنفاق في سبيل الله -تبارك وتعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} أي: من الذي يُنفق ماله لله، وفي الله، وابتغاء مرضاة الله -تبارك وتعالى، لا على سبيل الرياء، ولا السمعة، ومن غير منٍ، ولا أذى كما قال تعالى{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} بنفس طيبة رضية، لا كما قال الله -تبارك وتعالى- في صفة بعض المنافقين من الأعراب {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} فهي مقطوعة من قلبه، ويشعر أنها غير مخلوفة، ولا عائدة لها، ولا ثمرة، ولا جزاء ولا أجر، فهو سيء الظن بالله فلا يحتسب هذه النفقة.

ثم ذكر الله ثمرة وجزاء الإنفاق فقال{فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} أي الذي يُقرض الله قرضًا حسنًا، يُضاعفه له أضعافًا كثيرة، العشرة إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وذلك بحسب طيب المكسب، وكذلك بحسب ما يقوم في قلب الإنسان كما قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [سورة المؤمنون:60] فالذي يخشى أن لا يُقبل منه، غير من يُعطي وهو يشعر أنه قد جاء بعمل عظيم كبير، كأنه يمتن على ربه -تبارك وتعالى، وكذلك أيضًا تُضاعف بحسب ما يقوم في قلب العبد من الإخلاص، وبحسب شدة حاجة تلك الجهة أو الناحية التي صُرف فيها هذا الإنفاق {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ [سورة البلد:11-16] والنفقة على القرابات، هي صلة ونفقة، فهذه أجور مُضاعفة، وهكذا أيضًا حينما يكون أثر هذه النفقة مُتعديًا، بحيث يكون لها آثار تُثمر فيها، وتُزاد، ويكون ذلك رفعة لصاحبها، وزيادة في الحسنات.

{وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أي يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه ويضيقه عمن يشاء، فالتصرف كله بيديه ومدار الأمور راجع إليه، فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضه، ومع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله، بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا، فلهذا قال: {وإليه ترجعون} فيجازيكم بأعمالكم.

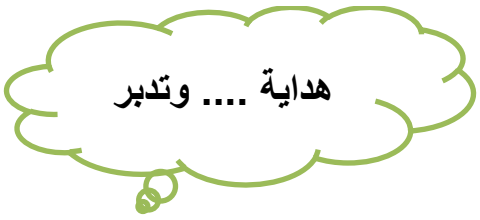

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا	جاء بصيغة الاستفهام، فهذه الجملة الاستفهامية مُضمنة معنى الطلب، ففيه حث وحض ودفع للنفوس من أجل أن تبذل، وكذلك أيضًا فيه ما فيه من التشويق، فحينما تقول لمن تُخاطبهم: من ذا الذي يفعل كذا فأعطيه كذا؟ فهذا استفهام مُضمن معنى الحث، وفيه معنى الترغيب.
	ذكر الله القرض، والله غني عن الناس، وعن صدقاتهم، ونفقاتهم، كل ما في أيدي الناس هو من رزقه -تبارك وتعالى، وله خزائن السماوات والأرض، والدنيا من أولها إلى آخرها لا تسوي عنده جناح بعوضة، فما هذا الذي يقدمه الإنسان!، ونحن نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، إذا أردنا أن نتصدق بحثنا عن الأقل في النقود، وما علم الإنسان أنه في الواقع أنه يُقتر على نفسه، ويبخل على نفسه، فهنا سماه قرضًا، فالقرض هو الذي يكون رجاء عائدة، ورجاء مُقابل، غير الهبة والعطية والهدية، فالقرض يطلب صاحبه عائدته، فهو ينتظر مُقابل هذا القرض، فهذا يدل على أن هذه الصدقة ترجع إلى صاحبها؛ ولهذا سماها قرضًا، فحينما يبذل الإنسان ويُقدم هو قرض، قرض لمن؟ لأكرم الأكرمين، وأغنى الأغنياء، جل جلاله، وتقدست أسماؤه، فالقرض حقه الوفاء، فالمُقترض هو الله -تعالى- وهو أوفى.
	وصف الله القرض بالحسن أي يكون بالحسنى من مال طيب حلال، بدون مَن على الفقير ولا أذى، ويكون صاحبه مخلصًا لله خائفًا وجلًا من ألا تقبل نفقته. هذا بخلاف الذين يؤذون المُنفق عليه، سواء كان فردًا، أو كان جهة من الجهات، فالفرد كأن يُعطيه، ثم يُعقب ذلك بكلمات، أو تصرفات، أو نظرات، أو بوجه

	يُنبئ عن استياء أو ازدراء أو احتقار، أو نحو ذلك، ولو كان ذلك موجهًا إلى جهة من الجهات، كالذي يُعطي مثلاً المؤسسات الخيرية والدعوية، الذين يقومون على الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، والذين يقومون على دعوة الناس، من مكاتب الدعوة، ونحو هذا، يعطيهم، ثم بعد ذلك يؤذيهم بهذا العطاء، ويُشكك في نزاهتهم، ويُطالبهم بأمور يتكلف فيها، ويُكلفهم عناء بسبب هذا العطاء، وربما طلب منهم أن يكتبوا له خطابًا يشكرونه فيه، وأن يقدموا له درعًا، يُثبت هذا العطاء، ونحو ذلك، فهذا كله خلاف القرض الحسن.
	والقرض يدل على أن رجوعها أمر محسوم، إذا صحت النية، وطاب المكسب، وصح الوجه الذي تُنفق فيه، هذه ثلاثة أشياء، بعض الناس قد لا تصح نيته، يُفسدها، يتحدث، فيذهب المال، ويذهب الأجر، ويبقى الوزر، حتى لا يخرج كفافًا؛ لأن الرياء شرك، وأحيانًا قد يكون مُخلصًا، ولكن المكاسب فاسدة، هذه الأموال من أين أخذها؟ أخذها من مكاسب محرمة، والله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وقد يكون المكاسب طيبة، والنية صالحة، لكن الوجه الذي بُذلت فيه غير صالح، كالذي يُنفق أموالاً في نذور وذبائح تُذبح لغير الله وإسراج القبور، وبناء القِباب عليها، وضع السقايات عندها، وهكذا ما يُبذل في سائر البِدع والمحدثات والضلالات، والمعاصي لله -تبارك وتعالى، فهذا كله لا يصح، ربما يُقيم حفلة كبيرة، ويُنفق فيها الملايين بمناسبة مولد النبي ﷺ، فهذا لا يصح؛ لأنه أمر مُحدث، فلا يُتقرب إلى الله بإحياء هذه المناسبة
فَيُضَاعِفَهُ لَهُ	بيان سعة فضل الله وسعة عطائه، حيث يُضاعف الجزاء بأضعاف كثيرة {مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

أَضْعَافًا كَثِيرَةً	سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ }[سورة البقرة:261] سبع سنابل، بعض أهل العلم ذكر أنه لا يُعرف في الدنيا حبة تُنبت سبع سنابل، في كل سُنبلة مائة حبة، وأن هذا على سبيل الفرض، فما عند الله يفوق ذلك، أما ما يُعطاه الناس في مُعاملاتهم وتجاراتهم ومُساهماتهم، كما يُعطون؟ هذا الربا الذي يأخذونه اثنين ونصف بالمائة، ومع ذلك قد يبيع دينه، ويأكل الحرام طمعًا في هذه النسبة
	إذا كان القتال في سبيل الله لا يُنقص الأجل، فالنفقة في سبيله لا تُنقص المال، يا ابن آدم أنفق أُنفق عليك، وقال: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، إلى آخر الحديث، وذكر فيه: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، و كلمة "عندي" فهذه لها دلالة عميقة، إذا قال العظيم الأعظم: عندي، يعني هذا نهاية الضمان والكمال والوفاء والتمام، لكن نقص اليقين عندنا هو الذي يجعل النفوس تحسب حسابات طويلة عريضة، إذا أراد الإنسان أن يُنفق، ولو قليلاً، فالجزاء عند الله - تبارك وتعالى- مضمون، كضمان القرض للمُقرض.
	وهذا بخلاف التجارات التي يظن أن فيها المضاعفة، كم يأخذ عليها؟ وكماسيُحصل منها؟! بل قد يخسر فيها، وقد تبقى مُعلقة مدة سنوات، وماله لا يرجع إليه -أعني رأس المال، فهي ليست مضمونة، فكم يأتيه بأقصى ما يطمح إليه الطامحون؟ إلى أربعين بالمائة، فيتهافت كثير من الناس على مثل هذه المساهمة، ويحصل فيها من الحرص والإلحاح، وبعضهم يذهب ويقترض من أجل أن يضع هذا المال فيها، وبعضهم قد يبيع داره من أجل أن يضع هذا المال فيها، والله

	يقول: {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} مضمونة، ومع ذلك في هذه المساهمات يبحث عن الأقل، عن الريال، ونحو الريال أيضًا هذه الأضعاف والجزاء والوعد والترغيب، مع أن الله هو الذي أعطى المال، وهو الذي وفق العبد وهداه، وأعلمه بمحابه ومراضيه، وهو الذي هداه للامتثال، ويُجازيه، ومع أنه هو الذي أعطى المال، لكن يُسميه قرضًا، حينما يُبذل في طاعته ومرضاته
وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ	إثبات هذه الصفات القبض والبسط، على الوجه اللائق بجلال الله، وعظمته، وفيه بيان: أن العبد سيلقى جزاءه وعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	سيُحاسبكم ويُجازيكم، لا تزول قدما عبد يوم القيامة، "لا" هذه أقوى صيغة من صيغ النفي، وذكر ... وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟، من أين أتاك المصدر؟ وأين بذلته؟ وأين ذهب؟ يسأل عن القليل والكثير، وهذا كانت النية فيه غير صالحة، وهذا كان المُبتغى فيه مما يحرم على العبد تعاطيه، ونحو ذلك، أسئلة تحتاج جواب. ولهذا ابن دقيق العيد -رحمه الله- الإمام المعروف، كان يقول: "ما عملت عملاً إلا أعددت له جوابًا" يعني: بين يدي الله يقول: ما عملت أي عمل إلا جوابه جاهز، إذا سُئلت عنه، لماذا فعلت كذا؟ عند من لا يخفى عليه خافية، ولا يمكن للإنسان أن يعتذر بأعذار غير صحيحة، هذه المحاسبة الصحيحة، فهنا ينبغي على العبد أن يحذر، وأنه سيرجع إلى الله - تبارك وتعالى، فيخاف من هذا الرجوع، وكذلك ما يُرجيه من الثواب والجزاء {فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا هذه

	الصيغة فيها من المُبالغة ما فيها.
	هذا المال الذي في أيدينا هو عارية، وكلنا سنرجع إلى الله وهذا المال لن يبقى؛ ولهذا يقول ابن آدم: مالي، مالي، قال: وهل لك، يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت؟ أو لبست فأبليت؟ أو تصدقت فأمضيت؟، والباقي لوارث، والإرث هو ملك جبري، بمعنى أنه لا يتوقف على قبول الوراث، يعني: الهبة والعطية والهدية تقول مثلاً: أنا وهبتك هذه الساعة، هذا لا يصير ملكًا لك إلا إذا قبلته، فقد تقول: أنا أعتذر، لا أقبل هذه الهدية، انتهى، أما الإرث فهو ينتقل مُباشرة، لا ينتظر قبول ولا اعتذار، وعند ذلك تستطيع أن تتبرع به إن شئت، وتستطيع أن تهبه، وأن تُبقيه، وأن تتصرف فيه كما تشاء، فهذا الإنسان الذي يقول: مالي مالي، لا يبقى عنده من ماله ولا شيء، يُدرج في هذا الكفن، ويوضع في قبره من غير درهم واحد، ولا شيء، لو جاء إنسان سيضع بضعة ريالات عنده لأنكر الناس عليه، وقالوا: كيف تُضيع المال؟ هذا لا يحل أبدًا.
	الله هو الذي بيده القبض والبسط، فهو القابض والباسط، فكل شيء بيده، والخزائن بيده، والرزق الذي يأتيك منه -تبارك وتعالى، فإذا بذلت المال في هذه الناحية، وهذا الوجه الذي أمرك الله به، فأبشر بالعِوض، وهذا أمر مُشاهد، العِوض في الدنيا، والعِوض في الآخرة، فالله -تبارك وتعالى- بهذا يحث على الإنفاق، أنفقوا، ولا تبالوا، فإن الله هو الرزاق الذي بيده القبض والبسط، يوسع على أقوام، ويُضيق على آخرين، وكل ذلك لحكمة بالغة، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

	ترجعون إليه بعد الموت، فيُجازيكم على أعمالكم، فهذا يُؤخذ منه الوعد على الثواب والجزاء

الحمد لله